من الهدى النبوى الشريف
مكارم الأخلاق وحاجة العصر إليها

د/ عبد الله عبد العليم أبو العيون

مدرس الحديث وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات – بالاسكندرية ـ جامعة الأزهر

من الهدى النبوى الشريف

مكارم الأخلاق وحاجة العصر إليها

روى البخارى بسنده عن مسروق قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو إذ قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشاً وإنه كان يقول: «إن خياركم أحسنكم أخلاقاً» (١).

وروى مسلم بسنده عن النواس بن سمعان الأنصارى قال سألت: رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والإثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» (٢)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم إن من دلائل النبوة لنبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الأخلاق والتى تعنى معرفة الخير وما ينبغى أن تكون عليه معاملة الله سبحانه ومعاملة الناس بعضهم بعضاً، فلو تدبر ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى هذا الجانب لوجدنا أن الأخلاق بهذا المعنى أهم أركان شخصيته النبيلة، بل ونبوته ورسالته الجليلة.

١- أخرجه البخارى/ك الأدب/باب حسن الخلق والسخاء/حـ ١٣ ص٦٦ (شرح ابن حجر)

٢-أخرجه مسلم/ ك البر/باب تفسيرالبروالاثم/حـ١٦ص١١٠, ١١١ (شرح النووى)

وحينما نقرأ سيرته، ونتدبر مواقفه قبل البعثة وبعدها نجد أن مكارم الأخلاق قد صحبته صلى الله عليه وسلم منذ صباه، فلا فرق عنده بين السر والعلن، وليس فى أخلاقه تكلف ولا تصنع بل هى الفطرة الخالصة التى طبع عليها.

إن الله عز وجل قد أودع فيه ما أحب من أخلاق، وما أرتضى من عظيم الصفات، فقد أتم له عز وجل مكارم الأخلاق حتى وصفه فى كتابه العزيز بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم» (١)

فهو أدب القرآن، فقد كان صلى الله عليه وسلم ممدوحا دائما من الله عز وجل ومن الناس.

لقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها من البلاغة والفصاحة والبيان بمكان عظيم حينما وصفت النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئلت عن أخلاقه من «سعد بن هشام» فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: «فإن خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن» (٢)

إذن فأخلاقه صلى الله عليه وسلم هى أكمل وأتم الأخلاق البشرية على الأطلاق، وأعلاها شأنا ومكانة، فهذا الخلق يعنى الإحاطة والشمول والعمق، كما أنه يعنى القدوة الصالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى: «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» (٣)

١- سورة القلم آية (٤)

٢- جزء من حديث أخرجه مسلم /ك صلاة المسافرين / باب صلاة الليل ومن نام عنه /حـ٦ ص٢٨/٢٥، راجع أيضا «دلائل النبوة» للإمام البيهقى حـ١ ص ٣٠٨ ومابعداه

٣- سورة الممتحنة آية (٦)

أثر الأخلاق فى دعوته صلى الله عليه وسلم:

إن الله عز وجل أرسل رسوله عليه الصلاة والسلام إلى العالم أجمع حينما ساد الظلام وانتشر الضلال، واستشرى أمر الفساد فى جوانب الحياة الإنسانية، وأركان البسيطة، وكان من أهداف هذه الرحمة المهداة والنعمة المسداه مايلى:

أولا: تنقية الأرواح وتخليص العقول مما ألمّ بها من شوائب الاعتقاد فى المخلوقات، وقدرتها على النفع والضر والتصرف فى الكائنات، والاطلاع على الغيبيات.

فكان الهدف إبطال الخضوع والعبودية والاستسلام من الانسان لمن هم من أمثاله، أو من هو أعلى منها فى الاستعداد والكمال.

ثانيا: إصلاح القلب بحسن القصد فى جميع الأعمال والتوجيه بها لله تعالى، فيحسن العمل ويصلح القصد، وتسمو الأخلاق ويرقى المجتمع الانسانى.

ذلك لأن مبدأ الأمر هو الله تعالى، الذى يعلم ماكان وما يكون إلى يوم الدين، ووضع كل شىء فى نصابه الذى يليق به سواه، وأحاط بجميع المصالح صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليليها، باطنها وظاهرها، خفيها وجليلها، فأتقن سبحانه كل شئ خلقه، وكان مُبلِّغ ذلك صلى الله عليه وسلم غاية فى الحكمة والدقة والإحكام.

ثالثا: بيان أن أعمال الانسان تحصى عليه إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، فعن أبى موسى قال: «قام فينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بأربع إن الله لاينام ولا ينبغى له أن ينام يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار» (١)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثلها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله» (٢) ذلك لكى يُعلّم كل مؤمن أن بعد موته يوم حساب وأن الله لايضيع أجر من أحسن عملا، وأن ما عند الله خير وأبقى.

فدعوته عليه الصلاة والسلام تهدف إلى إصلاح عناصر أساسية فى حياة الإنسان فهى تتناول أركان الإيمان الصحيح بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

كما تتناول جانب العبادة الصحيحة التى تحقق عبودية المخلوق لخالقه، وتتناول جملة الأحكام والنظم للمعاملات الفردية والجماعية والدولية بين المسلم والمسلم وبين المسلمين وغيرهم قال تعالى: «مافرطنا فى الكتاب من شىء» (٣) وقال عليه الصلاة والسلام: «وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» (٤)

١-أخرجه مسلم /ك الايمان / باب ماجاء فى رؤيه الله عز وجل / حـ٣ ص ١٥,١٤/ «بشرح النووى»

٢- المصدر السابق /ك الايمام / باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس / حـ٢ ص ١٤٨ / «بشرح النووى»

٣- سورة الأنعام آية (٣٨)

٤- أخرجه ابن ماجه / مقدمة / باب إتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم / حـ١ ص ٤/ عن أبى الدردائط دار الفكر.

فلم يترك الهدى النبوى الشريف فى حياة الإنسان حركة إلا وضع لها منهجا جملة أو تفصيلا يصل به إلى مكارم الأخلاق، ولا غرو فى ذلك فهو كما قال تعالى ﴿ماينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى﴾ (١)

وقال «أبو ذر» لما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لأخيه: اركب إلى هذا الوادى فاسمع من قوله، فرجع فقال: «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق» (٢)

والمكارم جمع مكرمة بضم الراء من الكرم قال الراغب: وهو اسم الأخلاق، وكذلك الأفعال المحمودة، قال: ولايقال للرجل كريم حتى يظهر ذلك منه، ولما كان أكرم الأفعال مايقصد به أشرف الوجوه، وأشرفها مايقصد به وجه الله تعالى، وإنما يحصل ذلك مَن المتقى قال الله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(٣)

وكل فائق فى بابه يقال له كريم (٤)

فمتى تحققت تربية الروح أخلاقيا تيسر لصاحبها القيام بسائر التكاليف الشرعية، وأصبح فى مقام العبودية الحقة لله سبحانه، وهو أشرف مقام يمكن أن يصل إليه إنسان مهما اختلفت معه حظوظ الدنيا المعنوية أو المادية.

بهذا الهدى النبوى الشريف يصل المسلم إلى أخلاق الفطرة

١- سورة النجم آية (٥٣)

٢- أخرجه البخارى /ك الأدب / باب حسن الخلق والسخاء /حـ ١٣ ص٦٤/٦٥ «بشرح ابن حجر»

٣- سورة الحجرات آية (٤٩)

٤- فتح البارى حـ ٣ ص ٦٥

التى فطره الله عليها مجردة من كل شائبة مضلة، إنه تنفيد لأمر الله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الذى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون» (١)

فمكارم الأخلاق التى يدعو إليها الهدى النبوى الشريف، إنما هى منهج إلهى للدين والدنيا والآخرة وصلاح الفرد والمجتمع واستقامة الملك، قال تعالى: «ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعملون» (٢)

ثم قال تعالى: «هذا بصائر للناس وهدى ورحمةٌ لقوم يوقنون» (٣)

يقول «عبد الله بن رواحة»:

وفينا رسول الله يتلو كتابــه .٠. إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرنا الهدى بعد العمى فقلوبنا .٠. به موقنات أن ما قال واقـــــع

ببيت يجافى جنبه عن فراشه .٠. إذا استثقلت بالمشركين المضاجع(٤)

وهاهى السيدة خديجة بنت خويلد أول سيدة يرتبط بها النبى صلى الله عليه وسلم برباط الزواج، ومن قبل أن تقرأ أو يقرأ عليها القرآن تصفه بقولها بعد أن قص عليها أمر الوحى: «كلا والله مايخزيك الله أبدا، إنك تصل الرحم، وتحمل الْكَلَّ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»(٥)

١- الأنعام آية)٧٩(٢- سورة الجاثية آية (١٨)

٣- سورة الجاثية آية (٢٠)

٤- راجع صحيح البخارى/ك الأدب/ باب هجاء المشركين /حـ١٣ص ١٦٤ /عن أبو هريرة

٥- أخرجه البخارى/بدء الوحى/حـ٢ ص٢٧/عن عائشة جزء حديث.

ولاشك أن هذه نتيجة استقرائية لعشرتها لهذا الرجل كريم الصفات والمحتد، عريق الأصل والنبل، فلم تبالغ فى وصفه، ولم تجاوز الحد فى وصفها، ولم تتعد حدود ماكان يشيع فى القوم من خصاله، وصفاته الحميدة.

لقد كانوا يسمونه بالصادق حيث لم يجربوا عليه كذباً قط، وكان يسمونه بالأمين حيث لم يحفظوا له خيانة البتة.

بهذا الخلق تمكن عليه الصلاة والسلام أن ينقل هذه الأمة فى أقل من جيل واحد من غياهب ظلمة الجاهلية إلى هدى نور الاسلام، فجعل ـ بعون الله تعالى ـ من الفرقة وحدة، ومن الفوضى نظاما، ومن الجهالة علما، ومن البداوة حضارة، ومن الفسق صلاحا، ومن الظلم عدلا، ومن الجور حقا إنها أخلاق الإيمان.

لقد أقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى جوف الصحراء أمة تخلقت بخلقه العظيم، وماكا يشع من جنبات قلبه وكيانه من نور الايمان، واستطاع أن يكون القاعدة المؤمنة فى مكة بيت الله الحرام، ثم ينطلق بها إلى الطيبة، ومنها إلى الآفاق، داعيا وصحبه رضوان الله تعالى عليهم إلى الاصلاح والصلاح الخلقى، والفلاح وتقوية الخير والبر ومحاربة الشر والاثم قائلا: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع قبقلبه، وذلك أضعف الايمان» (١)

١- أخرجه مسلم /ك الايمان / باب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر/حـ٢ ص ٢٢/٢٥/ عن أبى سعيد «بشرح النووى»

العفو وسعة الصدر مَن خصائص الهدى النبوى الشريف:

كان من خلقه صلى الله عليه وسلم لين الجانب، رحب الصدر، واسع البال يقدم لكل داءٍ دواءه الناجح من ذلك ما رواه «أنس» قال: كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بدد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال يامحمد مُرْلي من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء» (١)

فمجرد الضحك والابتسام دواء وفى الحديث إرشاد وتوجيه لمن بعده فى علاج مواقف الغضب، من جاهل أو أحمق قال تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (٢)

وهذا أسلوب آخر يعمل فيه النبى صلى الله عليه وسلم على سلامة الصدور والقضاء على مصدر المشاكل بين الجماعة الاسلامية.

فقد روى «ابن ماجة» بسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا جهم بن حذيفة مصدقا، فَلاَجَّهُ رجل فى صدقته فضربه أبوجهم فَشَاجَّه فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا: القود يارسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم:

١- أخرجه البخارى /ك الأدب / باب التبسم / حـ١٣ ص١١٨، ١١٩ «فتح البارى»

٢- سورة الفرقان آية (٦٣)

«لكم كذا وكذا» فلم يرضوا، فقال: «لكم كذا كذا» فرضوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «إنى خاطب على الناس ومخبرهم برضاكم؟» قالوا: نعم، فخصب النبى صلى الله عليه وسلم فقال:

«إن هؤلاء الليثيين أتونى يريدون القود، فعرضت عليهم كذا وكذا، أرضيتم؟»

قالوا: لا، فَهَمَّ المهاجرون، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفوا فكفوا، ثم دعاهم فزادهم، فقال أرضيتم؟ قالوا: نعم،

قال: «إنى خاطب على الناس ومخبرهم برضاكم»

فقالوا: نعم، فخطب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال: «أرضيتم؟» قالوا: نعم (١)

فهذا مثال لأسلوب الهدى النبوى الشريف فى معالجة موقف من المواقف بحكمته وحسن تصرفه صلى الله عليه وسلم.

ومثال آخر لحسن تربيته وعظمة أخلاقه صلى الله عليه وسلم نراه فى الموقف الآتى:

فعن أبى أمامة أن فتى من قريش أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إئذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مه مه، قال: ادنه فدنا منه قريبا فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لإبنتك؟

قال: لا والله يارسول الله جعلنى الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

١- أخرجه ابن ماجه /ك الريات / باب الجارح يفتدى بالقود /حـ٢ ص٨٨١ ط دار الفكر

قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله يارسول الله جعلنى الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله يارسول الله جعلنى الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يارسول الله جعلنى الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه.

قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء (١)

لقد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلوبا جعل الفتى يدرك أثر هذه الجريمة النكراء فى المجتمع وكيف أن الناس جميعا لايرضونه لأنفسهم وأهليهم، كما أنه لايرضاه هو لذويه، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه، وخير الأمور ماكان الدافع إليه من قرارة النفسى» (٢)

وأقول: كيف نقف أمام هذا الحديث؟ هل وقفة استاذ لعلم الأخلاق؟ أو وقفة فيلسوف؟ أو وقفة حكيم؟ أو وقفة مرب عالم؟ أو وقفة مؤمن صادق الايمان؟ أو وقفة كل هؤلاء؟ إنها كل ذلك وأكثر.

١- أخرجه الهيثمى/مجمع الزوائد / ك العلم/ باب فى أدب العالم / حـ٢ ص١٢٩، ط مكتبة القدسى

٢- كتاب «السنة قبل التدوين» أ.د/ محمد عجاج الخطيب ص٥٠ ط دار الفكر للطباعة والنشر.

إنه رسول رب العالمين، داع إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة، بوضوح لايقاوم، لايملك الفرد إلا أن يذعن ويسلم.

لقد بنى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى وبأخلاقة النبوية الشريفة نفوساً مؤمنة صالحة قانتة عابدة فنجدهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار، وشتان بين بناء الرجال والقرى والبلدان كما يقو الشاعر:

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى .٠. شتان بين قرى وبين رجال

إن آداب النبى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ذوق إيمانى وسلوك سوى وصراط الله المستقيم، فهو يدعو إلى وصل الروابط الإنسانية، وعدم تقطيعها، يدعو إلى تعارف الأجناس والتراحم بين آحاد الأمة، وآحاد الأسرة، ولم يدع إلى ترك الدنيا، وإهمال ماحل من متاعها.

إن مكارم الأخلاق النبوية تنظم كل قاعدة من قواعد الأخلاق فتدعو الفرد إلى صفاء الروح، والاستقامة والسيطرة على الشهوات بالعفة، والأخلاق، واللين، وكسر جماح الغضب، والتواضع، وتحرى الحكمة فى اصدار النصيحة، والمثابرة فى كل عمل يرضى الله عز وجل، وتحمل مشاق الحياة، والانتباه عند الاختبار، والاقتداء بالمثل الطيب، والبعد عن الشك والريب، وتجنب الكذب، والنفاق، والاسراف، والبخل، والتعالى، والتفاخر بالأحساب والانساب، والحرص على متاع الدنيا الفانى، والفسق والمنكرات ... الخ

ومكارم الأخلاق النبوية تدعو إلى الوفاء بالواجبات الأسرية نحو الآباء والأبناء والزوج والزوجة، والأقارب ذوى الأرحام، والجار الجنب والصاحب الجنب.

إن الأخلاق النبوية تنهى عن القتل والسرقة والإختلاس، والتعامل بالربا، والاعتداء على أموال اليتامى، والخيانة، وقول الزور.

ونأمر برد الأمانة، ومراعاة العهود، وشهادة الصدق، واقرار الوئام بين الناس، والاحسان إلى الضعفاء، والتعاون مع الآخرين، ومحبة الخير للغير كمحبته للنفس.

وتزداد الأخلاق النبوية رقة فى التعامل فتأمر بآداب غاية فى السمو والعظمة على بساطتها كالاستئذان قبل الدخول على الغير وإن كان على أقرب الآقربين، كذا خفض الصوت عند الحديث، والمبادرة بتحية الناس والرد عليها بأحسن منها، وحسن المظهر والهندام، وحسن إختيار الحديث فلكل مقام مقال.(١)

من الأخلاق النبوية الشريفة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس يده قط إمرأة لايملك رقها، أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى الناس لايبيت عنده دينار ولا درهم، لايأخذ مما أتاه الله إلا قوت عامه فقط، من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك

١- راجع «دستور الأخلاق فى القرآن» فضيلة د/ محمد عبد الله دراز ط دار البحوث العلميه.

فى سبيل الله تعالى، لايسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل إنقضاء العام إن لم يأته شيء.

وكان يخصف النعل ويرفع الثوب، ويخدم فى مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياء، لايثبت بصره فى وجه أحد، ويجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية، ويكافيء عليها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين.

يغضب صلى الله عليه وسلم لربه ولايغضب لنفسه، وينفذ الحق وإن عاد عليه بالضرر أو على أصحابه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع مرة، ومرة يأكل ماحضر، ولا يرد ما وجد وإن وجد تمراً دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكله، وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن وجد لبنا دون خبز أكتفى به، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله.

وكان صلى الله عليه وسلم لايأكل متكئاً، ولا على خوان(١) لم يشبع من خبز بُرٍّ ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله سبحانه، إيثارا على نفسه لا فقراً ولا بخلاً يجيب الوليمة ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشى وحده بين أعدائه بلا حارس، أشد الناس تواضعاً، وأمكنهم فى غير كبر، وأبلغهم فى غير إطالة، وأحسنهم بشراً لايهوله شيء من أمور الدنيا، ويلبس ما وجد، فمرة

١- الخِوان: بالكسر الذى يؤكل عليه مُعرَّب، والضَّمُّ لغة فيه نقلها الفرابى والكسر أفصح. الرازى في «مختار الصحاح» ص ١٩٣، ١٩٤ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م.

شملة، ومرة برد حِبَرَه يمانيا، ومرة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس.

وخاتمه صلى الله عليه وسلم فضة يلبسه فى خنصره الأيمن مرة والأيسر مرة يردف عبداً أو غيره، ويركب ما أمكنه مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة بغلة شهباء، ومرة حماراً، ومرة يمشى راجلا.

يحب صلى الله عليه وسلم الطِّيب ولا يرده، ويكره الرائحة الخبيثة، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لايجفوا على أحد، يقبل المعذرة إليه، يمزح ولا يقول إلا حقا، يبتسم ويضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات عليه فيصبر، ولا يحتقر مسكينا لفقره وأمانته، ولا يهاب ملكا لملكه.

طبعه الله تعالى عل محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وما فيه من النجاه والفوز فى الآخرة والغبطة، والخلاص فى الدنيا، ولزوم الواجب وترك الفضول.

وكان صلى الله عليه وسلم أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس، ولم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات، وكان إذا نزل به الأمر فوض أمره إلى الله تعالى وتبرأ من الحول والقوة إليه.

وكان أجود الناس كفاً، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس

لهجة، وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه ومن عاشره أحبه.(١)

فأخلاقه صلى الله عليه وسلم جامعة للحسن شامله للكمال البشرى، وفقنا الله تعالى لطاعته فى أمره ونهيه والتأسى بكارم أخلاقه آمين.

تواضع مع رفعة المقام:

وإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم على يقين من أن الله تعالى قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر، وبحكم عصمته عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن يستحيل عليه أن يأتى منكراً من الأخلاق والأعمال، وبالرغم من كل ذلك كان عليه الصلاة والسلام دائما مايدعو بقوله: «اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»(٢)

إنه التواضع مع رفعة المقام والارشاد والتوجيه والتربية والتعليم لأمته من بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٣)

١-راجع الفتوحات الاسلامية ـ لابن سعد المذينى /حـ٢ ص ٢١٩ ومابعدها، المطبعة العامرية الشرقية، ط الأولى ١٣٢٣ هـ / دلائل النبوة للامام البيهقى حـ١ ص ٣٠٨ ومابعدها. ط الأولى دار الكتب العلمية / الشفا للقاضى عياض، حـ١ ص٣ ومابهذا، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده.

٢-أخرجه النسائى/ك الاستعاذه/باب الاستعاذة من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق / عن أبى هريرة حـ ٨ ص ٢٦٤ دار الفكر ط الأولى ١٣٤٨ هـ، ١٩٣٠م.

٣- أخرجه أحمد حـ٢ ص٢٨١ عن أبى هريرة

أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم تشع فى أصحابه:

لقد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هم خير من اقتدى به واقتفى أثره، وقد مدحهم الله تعالى بقوله: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود» (١)

وقال تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم»(٢)

لقد بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن يؤثروا على أنفسهم وألا ينازعوا الأمر أهله، إلا أن يروا كفرا بواحا عندهم من الله تعالى فيه برهان، وعلى قول الحق أينما كانوا لايخافون من الله لومة لائم وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

لهذا نجد النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنا باتباع سنتهم والمضى على طريقهم.

فقد روى «ابن ماجه» بسنده عن العرباض بن سارية يقول: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم دات يوم، فوعظنا

١- سورة الفتح آية (٢٩)

٢- سورة التوبة آية (١٠٠)

موعظته بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقيل يارسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال: عليكم بتقوى الله تعالى، والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيا، وسترون من بعدى اختلافاً شديدا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»(١)

والمطلع على سلوك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم تمام العلم أن الاسلام، بتشريعاته العقائدية والأخلاقية ليست فوق طاقة الانسان، وليست نظريات بحته غير قابلة للتطبيق، فلقد تمسكوا بالكتاب، وبالهدى النبوى الشريف قولا وعملا، حتى صار الإسلام لهم طبعا وسجية، فاستحقوا بجدارة أن يصبحوا قادة يحملون علم نبيهم وأخلاقه إلى أمته من بعده.

ولاعجب فى ذلك فهم رضوان الله تعالى عليهم تربية نبى اكتملت فى خلقه وخلقه عناصر الكمال البشرى، وانتهت إلى شخصيته أمجاد الفطرة البشرية، فأصبح أتباعه إلى يوم الدين أعمق الناس له حبا، وأشدهم اقتداء به لأنه أهل لكل حب وخير من يقتدى به، فالاقتداء به وطاعته هو عين الايمان.

١-أخرجه ابن ماجه / مقدمة / باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين /حـ ١ ص١٥،١٦ جزء حديث.

حاجة عصرنا الملحة إلى الأخلاق النبوية الاسلامية:

المسلمون ـ بحمد الله تعالى ـ كثير منتشرون فى مشارق الأرض ومغاربها ولكن منهم متمسك بما أنزل الله تعالى من الشريعة الحنفية السمحاء، ومنهم من رأى فيها برأى، فهو إما غال أو مفرط أو مكتف بشعار الإسلام واسمه، وكل يرى أن ماعليه هو الصواب والحق دون غيره، وربما دلل على صواب موقفه بأدلة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى اله عليه وسلم تعنت وَحَمّلها مالا تحتمل.

وهناك فرق بين هذا وكون الاسلام ديناً ومنهجاً يمكن أن يتجاوب مع الفرد والجماعة فى كل بيئة وعصر، فهو صالح لكل زمان ومكان، ليس فيه تزمت أو جمود أو تنافر بين قوانيه وقواعده.

فخلق الاسلام يأخذ الإنسان فى بشريته أخذاً رفيعا لينا متوازنا، لايطغى فيه عنصر من عناصر تكوينه على الآخر، فلم يدع إلى تعذيب الجسم لأجل الروح، ولم يدع إلى المادية البحتة، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة» (١)

إنه الاعتدال والبعد عن الانحراف النفسى والفكرى والدعوة إلى الفضيلة، وترك الرذيلة ليستريح العالم من بلائه، وينجو من تباريحه، ويصل بحسن الخلق إلى غايته، فعن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن

١- أخرجه ابن ماجه/ ك اللياس/باب البس ماشئت/حـ٢ ص١١٩٢ / عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

الخلق» (١)

وعن عائشة رحمها الله تعالى قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»(٢)

ويقول الله عز وجل: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين(٣)

والناظر فى حال العالم اليوم يجد فى كثير من جوانبه المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) كثيرا من البعد بين القواعد الربانية ووسطية الدين الإسلامى، وبين مايموج به العصر من تكالب على المال، وعلى السلطان والنفوذ، وتكالب على الملكية بأشكالها وأنواعها.

ومن القضايا شديدة الوضوح والظهور- الخاصة - ماتواجهه الأمة الاسلامية من تحديات معاصرة للقضاء على الإسلام وأهله وذلك ماتنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله «يوشك الأمم

١- أخرجه البخارى معلقا / ك اللباس / باب قول الله تعالى (قل من حرم زينه الله .) حـ١٠ ص٢٥٢، وأخرجه النسائى/ ك الزكاه / باب الاحتيال فى الصدقه / حـ٥ ص٧٩ / عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

٢- أخرجه أبو داود / ك الأدب /باب فى حسن الخلق / حـ ٤ ص٢٥٢

٣- سورة القصص آية (٧٧)

أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها» (١)

لقد خنقت نفوس المتقين لانتشار العداوة والمنكرات بين الناس، وحين رَبَتْ الفتن، وزاد الشك والريب وضاع أمر الثقة والأمانة ووقر الكذب والخداع والخيانة، فأصبح الغالب من الناس لايرى إلا نفسه ومصلحته، كما قال تعالى: «وقليل من عبادى الشكور»

أولا: حاجة الأمة الاسلامية إلى إزكاء روح الأخلاق النبوية فيها:

المقياس فى الشريعة الاسلامية، مدى الإلتزام بكتاب الله تعالى وبالهدى النبوى الشريف، ثم الصدر الأول الإسلامى باعتبار أنه أول من طبق العقيدة الأخلاقية من منطق «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وحملوها إلينا صافية نقية كالماء الزلال.

فقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة مبشراً ونزيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وتبعه من تبعه من أهل مكة، واختُبِر أتباعه رضوان الله تعالى عليهم، إختبارات قاسية، فكانت التضحية من أجل الأخلاق الإلهية السامية بالمال والنفس، التى وقرة فى قلوبهم، حتى خلت أنفسهم من حظوظ الهوى واستقامت على هذا الهدى النبوى الشريف.

وقد كان ذلك وسط انحرافات جمة فى العقيدة، والنزعات القبلية التى بددت طاقات القوم ومنعت تجمعهم في أمة واحدة على قلب رجل واحد.

وكانت هناك الانحرافات الاجتماعية الأخلاقية من فاحشة مستعلنة وخمر، وميسر ، وظلم استشرى أمره بين القوم، ظلم

١-أخرجه أبو داود/كتاب الملاحم/باب فى تداعى الأمم على الاسلام/ج٤ص٤٨٣

اقتصادى يتمثل فى ربا الجاهلية وغيره، وظلم إجتماعى يتمثل فى عبودية الإنسان للإنسان، كذا الوَد للبنات فى بعض القبائل، وظلم يتمثل فى طلب السيادة بالقوة والقهر والاستعباد والاستعانة فى ذلك بالروم تارة وبالفرس تارة أخرى.

إن الهدى النبوى الشريف قضى منذ بدايته على هذه الأخلاق فى نفوس السابقين من اتباعه.

وينتقل عليه الصلاة والسلام بهذه الطائفة المؤمنة إلى المدينة المنورة فيستقبلهم إخوانهم من الأنصار أجل وأعظم استقبال، ويؤثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويستعف المهاجرون عن ذلك داعين لهم بالبركة فى المال والأولاد، فما عند الله تعالى خير وأبقى، ولا عجب فى ذلك فهم مؤمنون والرسول صلى الله عليه وسلم يقول «ترى المؤمنون فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» (١)

قال: «ابن أبى جمزة» الذى يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة فى المعنى لكن بينهما فرق لطيف.

فأما التراحم: فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الايمان لا بسبب شيء آخر.

وأما التوادد: فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادى.

١- أخرجه البخارى / ك الأدب / باب رحمة الناس والبهائم / حـ ١٣ ص ٤٦ / عن النعمان بشير

وأما التعاطف: فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه(٢)

وقال الله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون» (٣)

فهذه آيات الله تعالى ناطقة بما يجب أن تكون عليه الأمة المسلمة، وقد تحققت فى الصدر الأول، وحدة الروح والقلب والعقل.

أما عن حاضر الأمة الاسلامية فيصورها الشاعر اقبال بقوله:

كل شعب قام يبنى نهضة .٠. وأرى بنيانكم منقســـــما

فى قديم الدهر كنتم أمة .٠. لهف نفسى كيف صرتم أمما

ويقول:

كل من أهمل ذاتيته .٠. فهو أولى الناس طراً بالفناء

لن يرى فى الدهر قوميته .٠. كل من قلد عيش الغرباء(٤)

لقد انحسر الاستعمار العسكرى الذى أصاب الأمة الاسلامية،وبقى أذنابه داءً عضالا ينخر فى عظام الأمة الاسلامية

١- فتح البارى حـ ١٣ ص ٤٦

٢- أخرجه ابخارى / ك الأدب / باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا / ح ١٣ ص ٥٧، ٥٨ عن أبى موسى.

٣- سورة الحجرات آية (١٠)

٤- مجلة «نور الاسلام» العدد ٣٥ ص٢٥ يوليه سنة ١٩٦٨م

ويوسع شقة الخلاف فيما بينهم ويعمل على فقدان الثقة بين المسلم وأخيه، إن التكالب على السلطة والنفوذ مما يخالف الهدى النبوى الشريف، فالأمر لله تعالى يضعه حيث شاء.

إن النبى صلى الله عليه وسلم حينما أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال رجل منهم يقال له بيجرة بن فراس: والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب.

ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر لله يضعه حيث شاء» (١)

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إنكم ستحرصون على الإمارة، وإنها ستكون ندامة، وحسرة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» (٢)

فهذا مفهوم الإمارة والسلطة من خلال الأخلاق النبوية الشريفة.

الخلاف:

الخلاف لايفسد للود قضية، والاسلام لايمنع الاختلاف فى الرأى فهو أمر تقتضيه الفروق الشخصية بين الأفراد، وهى فروق قائمة لا ترد.

١- السيرة النبوية لابن هشام حـ٢

٢- أخرجه النسائى/ ك آداب القضاء / باب النهى عن مسألة الامارة / حـ٨ ص ٢٣٥، ٢٣٦ / ط دار الفكر.

أما إذا وصل الخلاف إلى نزاع فأسلم الطرق الرجوع إلى كتاب الله تعالى، والأخلاق النبوية الشريفة المستقاة من كتاب الله عز وجل.

حقيقة الأمر:

وحقيقة الأمر أن المؤمنين جميعاً بعضهم أولياء بعض، وهم أخوة فى كل مكان، لاتفرق بينهم لغة أو جنس، أو لون ولا تفصل بينهم جبال وأنهار، ولا صحارى وبحار، يرتبطون برباط واحد هو رباط الايمان بالله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا أقوى رباط يمكن أن يكون.

خطر تدخل الغير:

إن تدخل الغير ـ وهو عدوهم بأخلاقه غير المتوافقة مع الأخلاق الاسلامية ـ فى شئون الأمة الاسلامية غير من نظرة بعضهم إلى بعض، ونقل ولاء بعضهم إلى نفسه، وبذلك أصبحوا أغيارا لأنفسهم وآمنوا بما فرضه هذا الغير عليهم، ووضعت الحواجز والفواصل والحدود داخل الأمة الإسلامية.

أصبح للمؤمنين مشاكل اقتصادية وسكانية وسياسية ودفاعية، واستولى على فكر الكثيرين بأن معيار التقدم والحضارة إنما هى فنية وعلمية وموضوعية ولا علاقة لها بالدين وهذا باطل.

العلاج:

العلاج لكل ذلك فى تزكية الأخلاق النبوية الشريفة، وتمكنها فى نفوس المسلمين كافة، ليصل الأمر إلى ما كان عليه

السلف الصالح، وتلقائيا ستذوب الفواصل والحدود بين المؤمنين الصادقين فى إيمانهم.

وتقوم العلاقة بينهم على مبادىء الأخلاق الإسلامية والجهاد والخير(١)

ثم نقول بعد ذلك مقالة الشاعر:

يا من رأى عمراً تكسوه بردته .٠. والزيت أدم له والكوخ مـــأواه

يهتز كسرى على كرسيه فزعاً .٠. من بأسه وملوك الروم تخشـاه

سل المعالى عنا إننا عـــــرب .٠. شعارنا المجد يهوانا ونهـــواه

إذن فالأخلاق النبوية الشريفة هى العلاج الناجح ـ بإذن الله تعالى لقضايا العالم الإسلامى.

قال تعالى: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم» (٢)

ثانيا : حاجة المجتمع إلى تزكية الأخلاق النبوية الشريفة:

نحن والحمد لله فى مجتمعنا أحسن حالا، وأكثر استقرارا وأمنا من كثير، والروح الإسلامية السامية اللطيفة تسكن قلب كل مسلم فى هذا المجتمع، ولكن كثيرا من الظواهر تحتاج إلى علاج عن طريق الهدى النبوى الشريف فى الأخلاق، لأنها تتنافى معه كثيرا، وفرق شاسع بينهما.

١- راجع كتاب «الايمان» ص ٢٥ ومابعدها أ٠د/ محمد البهى الخولى، مطبعة الأزهر سنه ١٩٦٩م

٢- سورة الحجرات آية (١٣)

إن الظواهر السلبية تطالعنا بها وسائل الأعلام اليومية والاسبوعية، بل إن بعض الصحف قد تخصصت فى «الحوادث» الكثير منها محلى لا أخلاقى والأخر عالمى.

فتطالعنا وسائل الإعلام بالسرقات واللصوصية وقطع الطريق، والإستيلاء على الأموال بالإكراه فى وضح النهار، كذا جرائم الآداب والمسكرات بأنواعها، وتارة الإختلاس والرشوة، وتارة عقوق الوالدين، والجفوة بين أولى القربى، وخيانة الجار، ناهيك عن الحقد والحسد والبغضاء والنميمة، والوقوع فى أعراض الناس.

إنه دليل على ضعف علاقة المجتمع بالهدى النبوى الشريف، ومكارم أخلاقه، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»(١)

ويقول عليه الصلاة والسلام: «أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقاً» (٢) ويقول عليه الصلاة والسلام: «الاقتصاد فى النفقة نصف العيش، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (٤).

١- أخرجه الدرامى: ك الرقاق / باب فى حسن الخلق /حـ٢ص ٣٢٣ عن أبى ذر.

٢- أخرجه أبو داود: ك السنة / باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه / حـ٤ ص٢٢٠ عن أبى هريرة.

٣- أخرجه السيوطى: فى الجامع الصغير/حـ١ ص١٢٣ عن ابن عمر

٤- أخرجه أبو داود: ك الأدب / باب فى حسن الخلق/ حـ٤ ص٢٥٢ عن عائشة.

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من يضمن لى ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة» (١) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: قد أفلح من هدى إلى الاسلام، ورزق الكفاف وقنع به» (٢) وعن عبد الله بن عمرو قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان»

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال هو التقى النقى، لا إثم فيه، ولا بغى ولا غل ولا حسد» (٣)

وعن عائشة قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال: بئس ابن العشيرة، أو أخو العشيرة، ثم أذن له فألان له القول، فلما خرج قلت له يارسول الله: قلت له ماقلت، ثم ألنت له القول؟ قال: ياعائشة إن من شر الناس من تركه الناس أو وَدَعه الناس اتقاء فحشه (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما كان الفحش فى شىء إلا شانه وما كان الحياء فى شئ إلا زانه» (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعان ولا

١- أخرجه البخارى: ك الفرقان/باب حفظ اللسان/حـ١٣ص٩٠ عن سهل بن سعد

٢- أخرجه ابن ماجه: ك الزهد/باب الورع والتقوى/حـ ٢ ص١٣٨٦

٣- المصدر السابق/ ك الزهد /باب الورع والتقوى/حـ٢ ص ١٤١٠

٤- أخرجه الترمزى: ك الزهد/ باب ماجاء فى المداراة حـ٣ ص٢٤٢

٥- المصدر السابق: ك البر ؟ باب ماجاء فى الفحش / حـ٣ ص ٢٣٥/ عن أنس.

اللعان والفاحش ولا البذىٌ» (١)

هذه صورة الأخلاق النبوية الشريفة البعد عما يشين، والتمسك بكل ما يذين.

إن الكمال لله تعالى. ولكن حينما تزداد مظاهر الشرفى المجتمع فإنه يكون شروبيل، والحكم دائما للصفة الغالبة.(٢)

إن مصر كنانة الله فى أرضه، وقلعة الاسلام ومنارته بأزهرها الشريف،، فها هى المساجد تفيض بضيوف الرحمن، عامرة ليل نهار بروادها، إننا نريد أكثر نريد القضاء على كل ما يكدر ذلك، نريد أصلاحا فى العبادة وتخليصها من البدع الضالة ونتائج مترتبة عليها كما يقول الله تعالى: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» (٣)

فإذا وجدت الأخلاق النبوية الشريفة وجدت السعادة والطمأنينة والاستقرار، وفى غيبتها يوجد الشقاء والتعاسة والضعف والغلاء والفساد.

فلا مناص إذن من مكاشفة النفس، ووضع اليد على العلة حتى يمكن علاجها والقضاء عليها، يقول رسول الله صلى الله على وسلم: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء» (٤)

١- المصد السابق: ك البر / باب ماجاء فى اللعنة /حـ٣ ص٢٣٦ عن عبد الله ط دار الفكر ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م

٢- راجع كتاب «رجل من أمة التوحيد أسلم على يديه ٤٠٠٠ من الأجانب» بقلم عبد اللطيف الجوهرى ص٦٩، ط دار الصحوة للنشر ١٤١١ - ١٩٩١م

٣- سورة العنكبوت آية (٤٥)

٤- أخرجه البخارى: ك الطب/باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء/ عن أبى هريرة حـ١٠ ص١٣٤ «فتح البارى»

والحديث وإن كان قد ورد فى الطب إلا أنه عام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقد أصبحت الأمراض النفسية اليوم علماً وما تقع كل الشرور والمساوىء إلا من أنفس مريضة بعيدة عن الهدى النبوى الشريف.

يقول الشاعر:

وإن العقيدة عرض فصنه .٠. إذا كنت ممن يصون الحرم

سرت فى فؤادك مسرى الدماء .٠. فلا تبذل الدم إلا بدم

أمانة ربك فى خلقه .٠. فمن كتم الحق فيها ظلم

وميثاقه قبل خلق الجسوم .٠. تلقته أرواحنا فى القدم

بها رفع الله تلك النفوس .٠. وميزها عن سوام النعم (١)

ويحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغدر والخيانة حتى تسود الثقة والأمانة وهما رأس نجاح التعامل بين الأفراد، والتراحم والتعاطف والشفقة، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل هذه غدرة فلان بن فلان» (٢)

ويقول الله عز وجل: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات

١- من قصيدة للمرحوم الاستاذ أحمد الزين، ذكرها الاستاذ محمد مصطفى أبو العلا فى كتابه «المرشد العام لسعادة الأنام» ص١٠٨ ط شركة الجهاد للطباعة سنه ١٩٥٣

٢- أخرجه مسلم: ك الجهاد والسير / باب تحريم الغدر حـ٣ ص عن ابن عمر، وأخرجه البخارى: ك الجزية والموادعة / باب إثم الغادر حـ٦ ص ٢٨٣، واخرجه ابن عبد ربه / ك الجهاد باب فرض الجهاد حـ٢ ص ٤٥٥ ط دار المعرفة بيروت لبنان.

بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا» (١)

وفى الحديث الشريف قاعدة لعلاج من أيقن بها وآمن، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى سعيد الحذرى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال: «لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، فقال له رجل: يارسول الله: أيأتى الخير بالشر فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم قال: كيف قلت؟ قال: قلت: وهل يأتى الخير بالشر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الخير لايأتى إلا بخير» (٢) فالخير الحقيقى لا يأتى إلا بالخير.

ولنعلم أن الاستعلاء والفساد يستحيل أن يأتى بخير حقيقى، فمجتمع يذهو كل فرد فيه بنفسه، محتقر لغيره وظالم له، ناس لمحاسن ومكارم الأخلاق النبوية لابد أن يجنى مالا يحب.

إن الأخلاق فى مجتمعنا مرتبطة إرتباطاً وثيقا بالايمان(٣) فالحق أنه لا علاج ولا شفاء مما أصاب مجتمعنا إلا بالرجوع إلى مكارم الأخلاق الاسلامية، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله

١- سورة الأحزاب آية (٥٨)

٢- أخرجه ابن ماجه: ك الفتن ؟ باب فتنه المال / حـ٢ ص ١٣٢٣ جزء حديث»

٣-راجع «الدين والعقل» أ.د/ سليمان دنيا ط فبراير ١٩٥٩م

وسنة نبيه» (١)

ثالثا: حاجة العالم الملحة إلى الهدى النبوى الشريف فى الأخلاق:

لقد عرف الشرق بروحيته وبأنه مهبط الوحى، ومنبع الديانات، ومبعث النبوات، ومواطن الفضائل، فيه غرست وفيه نمت وترعرعت، عرف الشرق بهذا، بينما عرف الغرب بماديته وأنه مشرق العلوم ـ التى أسسها المسلمون ـ ومهد الاختراعات، ومنبع الاكتشافات، وهذا ما حمل الناس على أن يجعل تقدم الغرب نتيجة لماديته، وتأخر الشرق نتيجة لروحيته، فأخذ ينظر إلى الغرب نظرة إعظام وإكبار، وإلى الشرق نظرة ازدراء واحتقار، وإن نظرة واحدة إلى الشرق إلى الجزء الممتد بين المحيط الأطلسى غربا، وحدود الصين شرقا ترينا كيف افادت الإنسانية من الروحية، وكيف أثرت الروحية فى الأجناس المختلفة، فأزالت ما بينها من فوارق جنسية وقطعة مابينها من حواجز طبيعية (٢)

إن العالم اليوم من المنظور الإسلامى بينه وبين الأخلاق النبوية الشريفة المتلازمة مع العقيدة الربانية بون شاسع، وبالمقياس

١- أخرجه مالك فى الموطأ: ك القدر / النهى عن القول بالقدر / حـ٣ ص٩٣ ومهذا من بلاغات الامام مالك، قال السيوطى فى شرح الموطأ: وصله ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده حـ ٣ ص٩٣ ط دار الفكر، وقد أخرج ابو داود وجزء منه فى /ك المناسك باب صفة حجة النبى صلى الله عليه وسلم حـ٢ ص ١٨٥ عن جابر بن عبد الله.

٢- راجع مقال «الاصلاح الاجتماعى بين النزعتين المادية والروحية» لفضيلة أ.د/ محمد الفحام بمجلة «منار الاسلام» العدد الأول السنه الرابعة ص٤٦ ومابعدها سنه ١٩٧٨م

العلمي المادى يتبوأ القمة، ولكن مما يأسف له القلب أن أفكاره المادية لاتخلو منها بيئة إسلامية.

والحقيقة أن المجتمعات الاسلامية تموج بتيارات متعددة بصدد الثقافة الغربية، فمنها مايدعو إلى الأخذ بكل مافى الغرب، فهو مقياس التقدم والحضارة، «والأرستقراطية» بغض النظر عن كونه مخالف لشرع الله تعالى وهدى نبيه الكريم، ومن التيارات الدعوة إلى تقريب وجهة النظر الإسلامية مع الثقافات الغربية وتطويع النصوص الشرعية لوجهة النظر المهم التوافق معهم، من غير مراعاة للشخصية الاسلامية، ووجوب أن تكون العزة لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، وأن يكون الاسلام هو الغالب وليس مغلوبا وأن يكون عزيزا وليس ذليلا.

إن الاسلام لايمنع من الإفادة من ثقافات الأمم حولنا، ولكن يجب علينا أن نأخذ مايوافق كتاب الله تعالى، وسنة نبيه، وترك كل ما خالف ذلك، ونكون قد أخذنا بما هو نافع وتركنا ماهو ضار.

حملات الغزو الثقافى الغربى:

لقد آل الغرب على نفسه إلا أن يهدم الإسلام وأهله من طريق مباشر تارة، وطرق غير مباشرة تارة أخرى، فنراه ينحسر عن البلدان الإسلامية بجيوشه بعد أن فتح طرقا للغزو الفكرى.

فنراه يدفع الشباب إلى اللهو واللعب والخلاعة والمجون والإغراق فى المتع، والأدهى والأمر أنه يقنع الشباب أن فى ذلك عنواناً للتقدم والرقى والحضارة، ويصل الحال بنا اليوم لنرى الكثير من الشباب يسير شبه عار دون خجل أو حياء، إنهم يحاولون هدم الدين فى النفوس والقلوب، وسيان عندهم أن يعتنق الشاب ديانتهم أو ينكر دينه وإن سمى به.

إن الهدى النبوى الشريف يرى أن الأخلاق هى صحة العقيدة والرجولة والعفة والسكينة والوقار، ووضاءة العقل، وسلامة العرض، والتوفيق بين حاجات الروح والجسد، مؤديا لكل ذى حق حقه، فمن توافرت فيه هذه الصفات ملك السعادة من أطرافها.

وجملة الأحكام الشرعية ترمى إلى حفظ الدين والنفس والعقل، والمال والعرض بكل توازن يحقق التوافق بين الدين والدنيا، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع» (١)

١- جزء من حديث طويل أخرجه مسلم /ك الحج /باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم / حـ٢ ص١٨٢ عن جابر بن عبد الله.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل النبى صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يدخل الجنة؟

قال: التقوى وحسن الخلق، وسئل ما أكثر ما يدخل النار؟

قال: الأجوفان الفم والفرج» (١)

فلا حل مع هذه النية المبيتة ضد الاسلام وأهلة إلا بالعودة إلى الأخلاق النبوية الشريفة، على أن تكون واقعا عمليا، وما دمنا نعرف أهدافهم ومقاصدهم، فلا بد أن يسهل علينا الدفاع والنصر وتبوأ مايستحقه الإسلام وأهله من مكانة ومنزلة، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لايلدغ المؤمن من جُحْر مرتين» (٢)

ومن طريق آخر علينا أن ننشر مكارم الأخلاق النبوية بينهم عسى الله تعالى أن يشرح صدورهم للاسلام، وأن يهتدوا بهديه عليه الصلاة والسلام،

إن الاسلام لايمنع التعامل مع الآخرين ولكن يجب أن يكون بعزة الاسلام وعلوه وسموه.

أمثلة لعلاج النبوى ﷺ لمساوىء الأخلاق:

من العلوم ذات القيمة الرفيعة فى عصرنا هو علم الأخلاق الذى يدور موضوعه فى البحث عن معنى الخير والشر، وماينبغى أن تكون عليه علاقة الناس بعضهم بعضا، كما أنه يدل على الغاية

١- أخرجه ابن ماجه /ك الذهد / باب ذكر الذنوب /حـ٢ص١٤١٨

٢- المصدر السابق / ك الفتن / باب العزلة / حـ ٢ ص١٣١٨

التى يجب أن يقصدها الإنسان من وراء مسلكه مع الدلالة على كل سبيل يقود الإنسان نحو خالقه.

إن النبى صلى الله عليه وسلم فى علاجه لأمراض الجاهلية يسلك طرقا ربانية حكيمة فى غاية الروعة، مع البيان والفصاحة والبلاغة، فتارة يرغب فى عمل الخير بحسن الجزاء عليه، وتارة ينفر من الشىء لما له من سوء عاقبة فى الدنيا والآخرة، وتارة أخرى يحاور محدثه فيدله على الخير ثم يدعو له.

«فقد كان عليه الصلاة والسلام وافر العقل، زكى اللب، أعقل الناس، وأزكاهم، فمن تأمل تدبيره فى يواطن الخلق وظواهرهم وسياسته العامة والخاصة، مع عجيب شمائله لأيقن أنه نبى مرسل. (١)

وفيما يلى أمثلة لدلالته على مكارم الأخلاق ونهيه عن مساوئها:

أولا: الدعوة إلى مكارم الأخلاق وذم سوء الخلق:

سوء الخلق مما يتنافى مع صدق الإيمان، كما أنه يشقى صاحبه فيقول أبو حازم «السىء الخلق أشقى الناس به نفسه التى بين جنبيه هى منه فى بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى أنه ليدخل بيته وإنهم لفى سرور فيسمعون صوته فينفرون عنه فرقا منه، وحتى إن دابته لتحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، وحتى قطه ليفر منه» (٢)

وفى هذا الباب يقول النبى صلى الله عليه وسلم:

١- راجع كتاب «الشفاء» للقاضى عياض حـ١ ص٥٥

٢-سير أعلام النبلاء حـ٦ ص٩٩

«خصلتان لاتجتمعات فى مؤمن سوء البخل والخلق» (١)

ولما كان الخير لايكتسب إلا بالرفق، ومن جعله الله تعالى محروما منه فقد جعله محروما من الخير، لذا يقول صلى الله عليه وسلم: «من يحرم الرفق يحرم الخير» (٢)

ولأن الله سبحانه وتعالى يحب الرفق بين الناس نجد النبى صلى الله عليه وسلم يرغبنا فيه وينفرنا من العنف فيقول: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله، ويعطى عليه مالايعطى على العنف» (٣)

جاء فى كتاب «روح الدين الإسلامى» والغريب أن بعض أعداء الإسلام أرادوا أن يطعنوه فى الصميم فشوهوا الحقائق تشويها مريعاً.

كما جاء فى كتاب «البحث عن الدين الحقيقى» وهو محاضرات فى التعليم الدينى تأليف المنسنيور «كولى» إذ نعت الإسلام بأقبح الصفات، وزعم أنه خال من الأخلاق.

إن بطلان ذلك الطعن وسخافته لتظهر واضحة جلية بعد الإطلاع على الأخلاق فى القرآن الكريم، إن كل آية من آياته فى الدعوة إلى الأخلاق رد قاطع على الإفتراء.

ثم يقول: ولكن قبل أن نستعرض مبادىء القرآن الكريم

١- أخرجه الترمزى /ك البر /باب ماجاء فى البخل /حـ٣ص٢٣١عن أبى سعيد الخدرى.

٢- أخرجه ابن ماجه /ك الأدب/ باب الرفق / حـ٢ ص١٢١٦ عن جويرية بن عبد الله البجلى

٣- المصدر السابق بنفس الموضع حـ٢ ص١٢١٦ عن أبى هريرة.

الأخلاقية نقدم لأمثال هولاء المتهجمين على الاسلام ماقاله الدكتور «جوستاف لوبون» (إن أصول الأخلاق فى القرآن الكريم عالية علوا ماجاء فى كتب الديانات الأخرى جميعها»

ثم يقول سيادته: إن شهادة الدكتور «جوستاف لوبون» فى أخلاق القرآن الكريم لها قيمتها العلمية إذ لم يمله عليه حب لمبدأ، أو كره لآخر بل شهادة للحق وآداء للرسالة العلمية التى يخدمها.

ويقول أيضا: إن الفضائل التى أمر القرآن الكريم بها هى الفضائل الإنسانية الحقة التى أجمع الفلاسفة، ودعاة الإصلاح فى العالم على المناداة بها، والتى لو عمل بها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطرب، والرذائل التى نهى عنها القرآن الكريم هى سبب الخصام، والعداوة بين الناس، وهى التى لايشك فى ضررها أى مخلص يبتغى الخير للإنسانية» (١)

وأضيف إلى ذلك: إن من الأدلة القاطعة على سمو الأخلاق الإسلامية ماورد فى هدى النبى صلى الله عليه وسلم تطبيقا عمليا لرسالة السماء، وكذا من شرح الله تعالى صدره للإسلام من أصحابه، فكان مجتمعاً مثاليا لايدانيه نظام، ولا مذهب، ولا عقيدة جماعية، أو دعوة فردية، يقول عليه الصلاة والسلام: «خير ما أعطى الناس خلق حسن» (٢)

١- «روح الدين الاسلامى» تأليف أ/عفيف عبد الفتاح طباره ص٢٠٤، ٢٠٥ بتصرف ط دار العلم للملايين.

٢- أخرجه أحمد حـ٤ ص٢٧٨

وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا؟ قلنا: بلى يارسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال:

ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت لايسكت» (١)

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل فى الميزان من حسن الخلق» (٢)

فهذا أسلوب من أساليب الهدى النبوى الشريف فى النهى عن سوء الخلق مع الله تعالى، ثم مع الوالدين ثم مع الناس.

وفى جناس بديع يحذر النبى صلى الله عليه وسلم من سوء الخلق مع الجار، فعن أبى شريح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن، قيل:

ومن يارسول الله؟ قال: الذى لايأمن جاره بوائقه» (٣)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «يانساء المسلمات لاتحتقرن جارة لجارتها، ولو فِرسَنِ شاه» (٤)

١- أخرجه البخارى/ك الأدب /باب عقوق الوالدين من الكبائر حـ١٣ ص١٥، ١٦ «فتح البارى»

٢- أخرجه أبو داود /ك الأدب / باب فى الحياء /حـ٤ ص٢٥٣/ عن أبى الدرداء.

٣- أخرجه البخارى / ك الأدب/باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه حـ ١٣ ص٥٠

٤- المصدر السابق/باب لاتحقرن جارة لجارتها /حـ١٣ ص٥٢ وقوله «ولو فرش شاه»

وفى هذا الحديث أمر ونهى، أمر بالتحابب بين الجيران، ولو تَوادَّ بحافرشاة فيما بينهما، ونهى ألا تحتقر جارة جارتها فتعاملها بسوءِ خلق.

وفى وصية النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين حين دخل القوم فقالوا:

السّام عليكم فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم قال: مهلا ياعائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش»(١)

إذن فإن سوء الخلق مزموم شرعا فى كتاب الله تعالى وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

ثانيا: كراهية لعن المؤمن وتكفيره:

من أهداف الهدى النبوى الشريف احترام الإنسان لأخيه الإنسان فيقول عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من أصل الايمان ـ وذكر منها ـ الكف عمن قال لا إلا إلا الله لانكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام بعمل والإيمان بالأقدار..»(٢)

وفى التشديد على احترام المسلم المسلم وعدم وصفه بالكفر يقول صلى الله عليه وسلم «إذا كفر الرجل أخاه ـ أو إذا قال الرجل لأخيه ياكافر ـ فقد باء بها أحدهما» (٣)

١- المصدر السابق /باب لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا /حـ١٣ ص٦٠

٢- أخرجه أبو داود / ك/ الجهاد/باب الغزو مع أئمة الجور/ حـ٣ ص١٨ عن أنس بن مالك «جزء حديث»

٣- أخرجه مسلم / ك الايمان / باب بيان حال من قال لأخيه المسلم ياكافر / حـ١

وقوله صلى الله عليه وسلم «لايمرمى رَجُلٌ رجلا بالفسق، ولايرميه بالكفر إلا إرتدت عليه ما لم يكن صاحبه كذلك» (١)

ففى ذلك نهى عن نسبة الإنسان إلى ما يعيبه، وأن الوزر يقع على من بدأ بالسب، أو الشتم حتى يعتدى الثانى عليه، وقد بين عليه الصلاة والسلام «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (٢)

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟

قال: يسب الرجُلُ أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه» (٣)

من ذلك نرى أن الهدى النبوى الشريف يدعو إلى الاحترام المتبادل بين الناس عامة والمسلمين خاصة، وهذا الاحترام يؤدى بالضرورة إلى التعاون والتعارف وإشاعة الخير ومكارم الأخلاق بين الناس، دون إضرار ولا إنقاص، ولا إثارة للفتن والمشاكل، قال تعالى: «وقولوا للناس حسنا» (٤)

ثالثا: حفظ أعراض الناس وذم بسوء:

فى هذا من الهدى النبوى كثير، فعن عائشة قالت: قلت للنبى صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعنى

١- أخرجه البخارى /ك الأدب /باب ماينهى من السباب واللعن حـ١٣ ص٧٤ عن أبى ذر.

٢- المصدر السابق بنفس الموضع.

٣- المصدر السابق /ك الأدب /باب لايسب الرجل والديه/حـ١٣ ص٧

٤- سورة البقرة آية (٨٣)

قصيرة ـ فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» (١)

وعن سعيد بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق»(٢)

وعن أبى برزة الأسلمى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته» (٣)

وفى الهدى النبوى الشريف نرى النبى صلى الله عليه وسلم ينهى عن التجسس لحساب الغير دون حاجة لذلك، يقول صلى الله عليه وسلم: «من أكل برجل مسلم أُكْلَةً فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسى ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء، فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة» (٤)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم«كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه، حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» (٥)

١- أخرجه أبو داود /ك الأدب / باب فى الغيبة حـ٤ ص٢٦٩

٢- المصدر السابق نفس الموضع ص٢٧٠

٣- المصدر السابق ونفس الموضع ص٢٧٠

٤- المصدر السابق ونفس الموضع ص٢٧٠

٥- المصدر السابق ونفس الموضع ص٢٧٠

وعن عياض بن حماد قال: قلت يارسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل عليّ من بأس أن أنتصر منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المستابان ما قالا شيطانان يتكاذبان ويتهاتران» (١)

من خلال هذا القبس اليسير من الهدى النبوى الشريف نرى أنه يجعل السباب والقذف والتهاتر بالألفاظ مناف لمكارم الأخلاق ومحاسنها وقد اقتدى بذلك صالح المؤمنين ولسان حالهم يقول:

وإنى لألقى المرء أعلم أنه .٠. عدوى وفى أحشائه الضغن كامن

فأمنحه بشرى فيرجع قلبه .٠. سليماً وقد ماتت لديه الضغائن

وقد صدق الله العظيم فى كتابه الكريم إذ يقول: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثماً مبينا» (٢)

إن النبى صلى الله عليه وسلم بأمته رَءُوف رحيم، حريص على سعادتها ووقياتها من سيء الأخلاق، ففى إرشاده وقاية من الاثم، ووقاية من النار، والبعد عن هول الجحيم، وقضاء - فى الدنيا - على أسباب العداوة والبغضاء والفتن، وما يؤدى إلى الإضطراب والقلاقل بين المسلمين، فليحرص المسلمون على مكارم الأخلاق، وليتخذوا منها حلية حتى نكون من خيار مجيبى النبى صلى الله عليه وسلم الذين يألفون ويؤلفون.

١- أخرجه أحمد حـ٤ ص١٦٢، ١٦٦

٢- سورة الأحزاب آية (٥٨)

رابعا: القول بالكذب من سوء الخلق:

القول بالكذب مما يناقض مكارم الأخلاق، فإن الكذب يسقط المروءة، ويقضى على الكرامة، ويحمل صاحبه عاراً لايزول، وخزيا لايمحى، بل إنه يلوث سمعة الأمم، ويضيع الثقة بها، فتسقط من عيون الآخرين، وتصبح فى عداد الهالكين.

وفى الهدى النبوى الشريف من النهى عن الكذب والتزام الصدق الكثير.

منه الكذب فى البيع يذهب البركة: فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة» (١)

وعن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البيعان بالخيار مالم يفترقا فإن بينا وصدقا بورك لهما فى بيعهما ـ وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما» (٢)

ومنه مقت الكذب حتى فى المزاح، فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له» (٣)

١- أخرجه أحمد حـ٢ ص٢٣٥, ٢٤٢

٢- أخرجه النسائى /ك البيوع /باب وجوب الخيار للمتبايعين قبل افترافهما حـ٧ ص٢٤٧

٣- أخرجه أبو داود /ك الأدب /باب فى الكذب حـ٤ ص٢٩٧، ٢٩٨

قال تعالى: «إن الله لايهدى من هو مسرف كذاب» (١)

ويقول عز وجل: «إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم» (٢)

فالكذب ينافى شجاعة الرجال، فهو صفة ممقوتة فى جميع الأحوال، فإنها تذهب الثقة من التاجر والصانع، والبائع والمشترى، وصاحب العمل، والموظف صغيرا أو كبيرا.

يقول الشاعر:

حسب الكذوب من البلـ ..ـية بعض ما يحكى عليه

فمتى سمعت بكذبـــة ..من غيره نسبت إليـــه

وفى حديث جامع ينفر النبى صلى الله عليه وسلم من الكذب فيقول: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر» (٣)

وحديث آخر أعم وأشمل يضم نتائج هذه الخصلة فعن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، ومايزال الرجل يصد ق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى

١- سورة غافر آية (٢٨)

٢- سورة النحل آية (١١٦)

٣- أخرجه مسلم / ك الايمان / باب خصال المنافق حـ٢ ص٤٦ عن عبد الله بن عمر «بشرح النووى»

إلى النار، ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (١)

فالصدق ما طابق فيه الخبر للواقع، والكذب ما خالفه، وهناك فرق كبير بينهما فى تعبير الهدى النبوى الشريف فإذا كان الكذب من مساوىء الأخلاق «فالصدق فضيله الفضائل، وأسى الخلائق، يقوم عليه نظام الاجتماع، وترتيب الأمور وسيرها السير الحميد، وإنه ـ أى الصدق ـ ليعلى صاحبه عند الناس جميعاً، فيجعله موضع ثقتهم، مرغوب الحديث عندهم، محبوبا إليهم، محترم الكلمة عند حكامهم، مقبول الشهادة عند قضاتهم، لهذا أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم كما أمرنا به القرآن الكريم فى قوله: «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» (٢)

وأشاد بمكانته فى حديثه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب إذ يقول: «ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا» (٣)

وفى حديث عبد الله بن مسعود مسألة من أهم مسائل الأخلاق وهى طريقة تربية الخلق وتكوينه وتقويته فى النفس وتثبيته وجعله من الطبائع، ذلك أن يتحرى الإنسان القول الجميل، أو الصنع الجميل ويعمله المرة بعد المرة، والرابعة تلو الثالثة، والسادسة تلو الخامسة، حتى يؤثر فى نفسه أثراً حميداً، ويتخذ منها مجرى، يزداد تعمقاً كلما تابع العمل، فإذا بذلك الأثر الخلق

١- المصدر السابق / ك البر/ باب قبح الكذب وحسن الصدق حـ ١٦ ص ١٦٠، ١٦١ «بشرح النووى»

٢- سورة غافر آية (٢٨)

٣- سورة النحل آية (١١٧)

والفضيلة، التي تصدر عنها الأعمال الطيبة بسهولة ويسر.

فمن رغب أن يكون الصدق شيمته وخلته، ودينه وطبعه، فليتحر الصدق فى أقواله، وأعماله، وليتابع ذلك، فإذا الصدق خلته وإذا به الصِّدِّيق»(١)

وأما الكذب ففى جميع أحواله مزموم إلا كذب يصلح بين الناس كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نَمىَّ خيراً»(٢)

فالصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة إلا به» (٣)

فلا غرو فعلينا أن نعالج أنفسنا من الكذب وذلك بالتزام الصد ق ومكارم الأخلاق النبوية.

خامسا: ذم الغيبة والنميمة وعدهما من سوء الخلق:

وفيه من الهدى النبوى الشريف ومكارم أخلاقه، ما ينفر منه، ويدعو لتجنبه ومقته.

فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد

١- كتاب الأدب النبوى» لفضيلة المرحوم/ محمد عبد العزيز الخولى ص١٥٠، ١٥١ بتصرف ط دار المعرفه ١٩٨٢م.

٢- أخرجه أبو داود/ ك الأدب / باب فى اصلاح ذات البين /حـ٤ ص٢٨٠، ٢٨١ عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه.

٣- المستطرف للأبشيهى حـ ١ ص ٢٥٤.

الله إخواناً»(١)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدورن ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟

قال: إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» (٢)

بل يشير الهدى النبوى إلى ضرورة الستر على المؤمن فيقول عليه الصلاة والسلام: «لايستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» (٣)

ومن صفات المغتاب والجاسوس أن يكون ذا وجهين لذا نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم يذم هذا الصنف من الناس بقوله:

«إن من شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (٤) ولننظر إلى هذا الزجر الشديد عن الغيبة، فعن أبى برزة الأسلمى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه، لاتغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم ...»(٥)

١- أخرجه مسلم / ك البر/ باب تحريم الظن والتجسس حـ١٦ ص١١٨

٢- المصدر السابق /ك البر/ باب تحريم الغيبة حـ١٦ ص١٤٢

٣- المصدر السابق /ك البر / باب بشارة من ستر الله تعالى عليه فى الدنيا .. حـ١٦ ص١٤٣ عن أبى هريرة

٤- المصدر السابق/ك البر /باب ذم ذى الوجهين وتحريم فعله حـ١٦ ص١٥٦ عن أبى هريرة.

٥- سبق تخريجه.

ولقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم من يرد غيبة إنسان ويبشره بنصر الله تعالى له فى موطن يحتاج للنصرة فيه، فيقول عليه الصلاة والسلام «ما من امرىء يخذل امرأ مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نُصْرَته.

وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك من حرمته إلا نَصَرَه الله فى موطن يحب نصرته»(١)

ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن النميمة، فعن حذيفة قال: «لايدخل الجنة قتات» (٢)

وأنشد بعضهم فى ذى الوجهين:

مَنْ نَمَّ فى الناس لم تؤمن عواقبه .٠. على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسيل بالليل لايدرى بـه أحـد .٠. من أين جاء ولا من أين يأتيه؟

ويقول صالح بن عبد القدوس:

قل للذى لست أدرى من تلونه .٠. أناصح أم على غش يناجينى

إنى لأكثر مما سُمتنى عجبـا .٠. يد تشبح وأخرى منك تأسونى

تغتابنى عند أقوام وتمدحنـى .٠. فى آخرين وكل عنـك يأتينى

١- أخرجه أبو داود/ ك الأدب /باب من رد عن مسلم غيبة حـ٤ ص٢٧١ عن جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصارى.

٢- المصدرالسابق /ك الأدب /باب فى القتات حـ٤ ص٢٦٨

هذا شيئان قد نافيت بينهما .. فاكفف لسانك عن شتمى وتذيينى(١)

وقال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهدين حماز مشاء بتميم﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يَغْتَبْ بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾(٣)

إن الهدى النبوى الشريف بيان وتفسير وتوضيح لما فى كتاب الله عز وجل والتطبيق العلمى لما فيه، فأصحاب هذه الصفات المزمومة «التجسس والغيبة والنميمة» دائما فى بغض ممن حولهم لأنهم يعملون دائما على زرع الفتن بين الناس، وقطع العلاقات بين الوالد وابنه، والرجل وزوجته، والأخ وأخيه، والصاحب وصديقه، فهو دائما نزير شؤم وغراب بين.

ولذلك يصفه الله عز وجل بالفسق فيقول تعالى:

﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (٤)

لكل ذلك نرى أن النبى عليه الصلاة والسلام يعمل جاهدا على قتل وإبادة هذه الصفات الذميمة، فحسن الظن بالمسلم من مكارم الأخلاق، وظن السوء بالمسلم يناقضه.

١- المستطرف للأبشيهى حـ١ ص١١٠

٢- سورة «ن» آية ١٠، ١١، ١٢)

٣- سورة الحجرات آية (١٢)

٤-سورة الحجرات آية (٦)

والمطلوب ـ استمدادا من الهدى النبوى الشريف ـ من المسلم العمل على توثيق العلاقة بينه وبين الناس، وبين المسلمين بعضهم بعضا توثيقا يستدعى المحبة والشفقة، والمودة، والتعاون على البر والتقوى، وصفاء القلوب، واسداء النصائح الأمينة وهذا عين حسن الخلق، وهدف عظيم للهداية النبوية الشريفة.

سادسا: تحريم عقوق الوالدين وقطيعة الرحم:

لما كان بر الوالدين من أوجب الحقوق، وأقدس الواجبات على الانسان، وطاعتهما من أفضل الطاعات عليه، لهذا قرن الله سبحانه حقهما بحقه فى الشكر فقال تعالى: «أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير» (١)

ولهذا زاد اهتمام الهدى النبوى الشريف ببر الوالدين، وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما فيحذر النبى صلى الله عليه وسلم من عقوق الوالدين فيقول: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا، قلنا: بأى يارسول الله قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور،

---

١ ـ سورة لقمان آية (١٤)

وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لايسكت» (١)

وقال صلى الله عليه وسلم «لايدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر»(٢)

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف، قيل: من يارسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل فيه الجنة»(٣)

وأما الرحم وصلتها فقد عظم النبى صلى الله عليه وسلم فى هديه الأخلاقى فى شأنها وفضل من وصلها، وعظم إثم قاطعيها بعقوقهم إياها فقال عليه الصلاة والسلام: الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى صله الله ومن قطعنى قطعه الله(٤)

كما بين النبى عليه الصلاة والسلام أن صلة الرحم سبب فى بسط الرزق والبركة فى العمر فقال: «من سره أن يُبْسَط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه»(٥)

ففى هذا الحديث: «رتب الرسول صلى الله عليه وسلم الرحم أمرين بسط الرزق، والإنساء فى الأثر.

أما ترتيب السعة فى الرزق على صلة الرحمه فلأنه بالصلة يستجلب محبتهم، فيعاونونه على كسب الثروة فتزداد، وينفى

١- أخرجه البخارى /ك الأدب /باب عقوق الوالدين من الكبائر حـ١٣ ص ١٦/١٢ عن أبى بكرة

٢- أخرجه النسائى /ك الأشربه /باب الرواية فى المدمنين فى الخمر حـ٨ ص٣١٨ عن عبد الله بن عمرو

٣- أخرجه مسلم /ك البر والصله/ تقديم الوالدين على التطوع حـ١٦ ص ١٠٨ « بشرح النووى»

٤- المصدر السابق /باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حـ١٦ ص ١١٣ عن عائشة

٥- أخرجه البخارى /ك الأدب باب من بسط له فى الرزق لصله الرحم حـ١٣ ص ٢٠ عن أبى هريرة

بالصلة عداوتهم، التى إذا إشتغل بها استنفذت كثيرا من وقته، يتعطل فيه عن ابتغاء الرزق، ولأنه بالصلة يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة، وبالصلة يدخل فى زمرة المتقين قال تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب»(١)

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ترتب السعادة الدنيويه على الأعمال الصالحة.

وأما ترتيب الإنساء فى الأثر على الصلة فتكون حياته حافلة بالأعمال الطيبج فهى حياة طويله فيهبه الله سبحانه قوة فى الجسم، ورجاحة فى العقل، ومضاء العزيمة» (٢)

إذن فمن مكارم الأخلاق صلة الرحم، وأسس التعامل مع الوالدين أداء الواجب نحوهما، والبعد عن التأفف منهما، أو التنغيص عليهما بالكلام وطاعه أمرهما، والتواضع لهما، ولين الجانب، وتجنب الغلظة والجفوة فى معاملتها، والتودد لأصدقائهما، فهذا هو الهدى النبوى الشريف فى معاملة الوالدين وصلة الرحم.

سابعا: التكافل الاجتماعى من مكارم الأخلاق النبوية:

مِنَ الغرائز التى أودعها الله عز وجل فى خلقه محبة المتع الدنيوية، وقد أخبرنا بذلك فى كتابه العزيز فى كثير من الآيات عن هذه المحبة فقال تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة

١- سورة الطلاق آية (٢)

٢- راجع «الأدب النبوى» ص١١٤ ومابعدها.

والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»(١)

يخبر الله عز وجل فى هذه الآية الكريمة عما زين للناس فى هذه الحياة من أنواع الملاذ من النساء والبنين وبدأ بالنساء، لأن الفتنة بهن أشد، فأما إذا قصد الإعفاف بهن، وكثرة الأولاد فهو أمر مرغوب فيه.

وحب المال تارة يكون للفخر والخيلاء، والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء فهو مذموم، وتارة يكون للنفقة فى القربات وصلة الرحم، ووجوه البر والطاعات فهو ممدوح محمود شرعا.

ومثل ذلك الخيل فهى مذمومة إن كانت للفخر والخيلاء، ويثاب صاحبها عليها إن كانت معدة لسبيل الله تعالى فيقال: «ياخيل الله اركبى» متى احتاجوا إليها، وهكذا فى الابل والبقر والزراعة، إما أجر لصاحبها، وإما وزر عليه» (٢)

وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من فتنة المال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حينما أتى أبو عبيدة بمال من البحرين، وسمع القوم بقدومه، فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر.

١- سورة آل عمران آية (١٤)

٢- راجع تفسير ابن كثير حـ٤ ص٣٥١، ٣٥٢

قال حين رآهم «أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى عليكم أن تُبْسَطَ الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» (١)

وقال صلى الله عليه وسلم «إن الدنيا خضرة حلوه، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقو النساء»(٢)

وقال تعالى مبينا شدة محبة المال: «وتحبون المال حبا جماً»(٣) بل يبين سبحانه أن محبة الخير على العموم هى فى ذم الإنسان فقال تعالى: «وإنه لحب الخير لشديد» (٤)

ولكن فى الحقيقة: أن مكارم الأخلاق النبوية قد هذبت هذه الغريزة، وجعلت الإيثار هو الصفة، والطبيعة الغالبة على جماعة المسلمين، وليس هناك شهادة أعظم من شهادة الله تعالى حين قال: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»(٥) هدفهم فى ذلك رضاء الله عز وجل يظهر ذلك من قوله تعالى: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولا شكورا»(٦)

وعامة المسلمين يعلمون أن نبى الله حينما انتقل إلى المدينة، وأصحابه لم يكن يملكون من دنياهم شيئاً بعد أن نزلوا عن أموالهم وديارهم مهاجرين لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

١- أخرجه ابن ماجه /ك الفتن /باب فتنة المال حـ٢ ص ١٣٢٤، ١٣٢٥ عن عمرو بن عوف

٢- المصدر السابق /باب فتنة النساءحـ٢ ص ١٣٢٥ عن أبى سعيد.

٣- سورة الفجر آية (٢٠)

٤- سورة العاديات آية (٨)

٥- سورة الحشر آية (٩)

٦- سورة الدهر آية (٨)

«ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الأنصار فحكمّوا القرعة بينهم، فما نزل مهاجر على أنصارى إلا بقرعة، إنها أخوة الاسلام، ومن يتأمل هذه المحبة التى يستحيل أن تكون بتأثير بشر، بل بفضل من الله ورحمته، يفهم كيف انتصر هؤلاء الأقوام، على معانديهم من المشركين، وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدة.

وكان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم وهذه أعلى درجات الأخوة، وكل ذلك يرونه قليلا بالنسبة لما وجب عليهم لإخوانهم، فإن رسول الله آخى بين الأنصار والمهاجرين، فكان كل أنصارى ونزيله أخوين فى الله تعالى.

ومن العبث أن نكلف القلم أن يوضح أن هذه الأخوة كانت أرقى بكثير من الأخوة العصبية، بل نَكِلُ ذلك إلى الإحساس الإسلامى فإنه أفصح منطقاً من القلم.

وعلى الإجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً فى أجسام متفرقة.

وعسى الله تعالى أن يوفق مسلمى عصرنا إلى هذا الإخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون، وكان هذا الإخاء على المساواة، والحق، وأن يتوارثوا بعد الموت، ودام هذا الميراث إلى أن أنزل الله سبحانه: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله..(١)»(٢)

١- سورة الأحزاب آية (٦)

٢- كتاب «نور اليقين فى سيرة محمد المرسلين» لفضيلة المرحوم محمد الخضرى ص ١٠٣، ١٠٤ بتصرف. ط دار الجيل ط سنه ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .

ومما يجدر الإشارة إليه أن المهاجرين كانوا أهل عفة وقناعة أمام ما قدم لهم من أموال وديار، وبساتين ناضرة.

وقصة عبد الرحمن بن عوف وأخوه سعد بن الربيع الأنصارى خير شاهد على ذلك، وفى سيرة الصحابة رضوان الله عليهم الكثير أيضا(١)

إن الاسلام لا يرفض الغنى من الحلال فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نعم الصالح للرجل الصالح» (٢)

وقد سخر الله تعالى لنا ما فى الأرض جميعاً، ولم يحرم زينة أبدعها فى كونه، بل أباح المال الحلال، ومدح اليد العليا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فليجمع المسلم ما شاء من مال بشرط أن يكون حلالا، ليس فيه ضرر ولا ضرار، على أحد من الناس، وأن يخرج حق الله تعالى (الزكاة) ثم يواسى إخوانه المسلمين في ملماتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

يقول عليه الصلاة والسلام: «أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى وفرق بينهما قليلا» (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: «خير الصدقة أو أفضل الصدقة

١-راجع «قصص السنه» أ.د/ أحمد عمر هاشم ص١٠٠، ١٠٣ ط دار التراث سنه ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م

٢- أخرجه أحمد حـ٤ ص١٩٧ عن عمرو بن العاص

٣- أخرجه الإمام أحمد فى مسنده حـ٥ ص٣٣ عن سهل بن سعد

ما أبقت غنى، والْيَدُ العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»(١)

ويقول عليه الصلاة والسلام: «لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى الجبل فيجىء بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغنى بثمنها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»(٢)

وقد فاضت كتب السنة الشريفة بمكارم الأخلاق التى حوته المجلدات والموسوعات، ولكن أمثلة تذكر فتدفع طالب مكارم الأخلاق النبوية إلى البحث فى أقواله وأعماله وتقريراته وصفاته الخُلقية، كذلك البحث فى سيرة وآثار أصحابه الغر الميامين رضوان الله تعالى عليهم.

والحقيقة أن بلادنا تفيض بالخيرات مقارنة بأحوال الصدر الأول، فقط نحتاج إلى الإقتداء بمكارم أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم فى قناعتها بما قسمه الله تعالى للمرء، بعد أن يجد ويجتهد فى عمله، وألا يتطلع إلى من هو أعلى منه مالا طمعاً، بل ينظر إلى من دونه فيحمد الله عز وجل، الذى بيده الملك والملكوت، وعلى المسلم أن يتجنب الحسرة والكآبة والحزن لقلة ماله فربما كان خيرا عند الحساب.

كما نحتاج إلى أن يخرج أهل الغنى زكاة أموالهم التى فرض الله تعالى عليهم، ونحتاج إلى الإقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم، وتوجيهاته السديدة فى العمل والإخلاص فيه، كما أمر الله تعالى بقوله: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

١- المصدر السابق حـ٣ ص ٤٣٤ عن حكم بن حزام

٢- المصدر السابق حـ١ ص١٦٧ عن الزبير رضى الله عنه.

وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»(١)

ولا شك أن هذه الآية الكريمة تنطوى على قاعدة جليلة سامية، ألا وهى الإخلاص فى العمل، الذى يكون مفتاحا لأبواب الخير، الذى يعم الجميع، ويهنأ به كل فرد.

ومن وسائل القناعة بالعيش، استحضار معيشة النبى صلى الله عليه وسلم ووزيراه، وقد وصل بهم الحال فى بعض أيامهم إلى أن يعصبوا بطونهم بالحجارة من الجوع، راضين برزق الله عز وجل، فما حالنا اليوم؟

إننا فى أشد الاحتياج إلى الاقتداء بمكارم الأخلاق النبوية الشريفة، وصحبه رضوان الله تعالى عليهم.

وبعد فهذه أمثلة: ذكرتها لهدايات النبى صلى الله عليه وسلم للتمسك بمكارم الأخلاق والبعد عن ذميمها.

والحق أن النبى صلى الله عليه وسلم ما ترك خصلة ذميمة إلا ونهى عنها(٢) وبين آثارها على الفرد والمجتمع، وأثرها فى الدنيا والآخرة، وعلى سبيل الاجمال:

فقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالجار وذم أذاه، وإهانة الأهل، وذم السكر والمسكرات، وذم الزنا والمعاكسات، وهى أمور تأباها شيم الكرام كما قال الشاعر:

عفوا تعف نساءكم فى المحرم .٠. وتجنبوا مالا يليق بمسلم

إن الزنا دين فإن أقرضته .٠. كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

١- سورة التوبة آية (١٠٥)

٢- راجع كتاب «مساوىء الأخلاق ومذمُمها» لأبى بكر السَّامرى الخرائطى متوفى (٣٢٧هـ) ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع دراسة وتحقيق مجدى السيد ابراهيم.

ولقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الكبر والكبرياء، وظلم الناس والاضرار بهم، ونهى عن الحقد والحسد، والتدابر والتباغض، والغش والخداع، وأمر بالحياء وبين أنه لايأتى إلا بخير، فحسب المسلم فى كل هذه المذمومات أن يتمثل بخلق الحياء الذى يحمل على البر والخير والطاعات، ويزجر عن تضييع فرائض الله تعالى وارتكاب الفواحش والمعاصى، فهو بلا شك يدفع صاحبه أن يراه اله تعالى حيث أمره، ويفتقده حيث نهاه، ومن أجل ذلك فهو رأس كل خير.

كما قال صلى الله عليه وسلم«الحياء لا يأتى إلا بخير»(١)

فالحياء يكون من الله تعالى ويكون من الناس ويكون أيضا من النفس المؤمنة.

وبهذه الثلاثة يصبح الانسان بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا عند الله وعند الناس(٢)

ومما سبق يمكن استنباط ما يلى:

أولا: الأخلاق الاسلامية تنقسم إلى شعبتين:

الشعبة الأولى: هى حسن الخلق مع الله عز وجل ويتمثل فى الإيمان بالله تعالى إيمانا جازما مطابقا للواقع، والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهذه هى

١- أخرجه مسلم / ك الايمان /باب شعب الايمان حـ١ ص٤٦، ٤٧ عن عمران بن حصين ط دار الآفاق الحديثه.

٢- راجع كتاب «درر إسلامية» للاستاذ عبد العظيم منصور ص ١٠٢، ١٠٣ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

أركان الإيمان المتلازمة التي لايمكن فصل بعضها عن بعض.

الشعبة الثانية: وهى المجال التطبيقى العملى لمكارم الأخلاق التى اكتسبها المسلم من هدى كتاب الله عز وجل، والهدى النبوى الشريف، وتتمثل فى التعامل بين الأفراد الذين هم عباد الله تعالى بعضهم مع بعض، فليس الأمر آيات تتلى أو أحاديث تروى دون إذعان، أو تسليم، أو استجابة عملية لأمر الله عز وجل ورسول الكريم.

وذلك بأن يكون المؤمن كما وصفه الحكيم الترمزى عند جندب بن عبد الله: «إن من أخلاق المؤمن قوة فى دين، وحزما فى لين، وإيمانا فى يقين، وحرصا فى علم، وقصداً فى غنى، و تجملا فى فاقة، وتحرجا عن طمع، وكسبا فى حلال، وبراً فى استقامة، ونشاطاً فى هدى، ونهيا عن شهوة، ورحمة للمجهود.

وإن المؤمن من عباد الله لايحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يضيع ما استودع، ولا يحسد، ولا يطعن، ويعترف بالحق وإن لم يشهد عليه، ولا يتنابز بالألقاب، فى الصلاة متخشعاً إلى الزكاة مسرعا، فى الزلازل، وقورا، فى الرخاء شكورا، قانعا بالذى له، لايدعى ما ليس له، ولا يجمع فى الغيظ، ولا يغلبه الشيح عن معروف يريده، يخالط الناس كى يعلم، ويناطق الناس كى يفهم، وإن ظلم وبغى عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذى ينتصر له(١)

ثانيا: إن الأخلاق النبوية الشريفة حينما سادت الصدر الأول انتشر الأمن والأمان، والمساواة بين الناس، واجتنبت النوازع

١- أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ونسبه إلى الحكيم الترمزى عن جندب بن عبد الله البجلى الصحابى الجليل حـ٢ ص٢٥٩، ٥٣١ بشرح فيض القدير دار النهضه ط الثانية سنه ١٣٩١ هـ/١٩٧١م

والأهواء والشهوات.

فلا عجب أن يتناوب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع خادمه الراحلة من المدينة إلى بيت المقدس بالشام، ولا عجب أن ينام هادئاً قرير العين فى الطريق دون حراسة ولا حراس، ولا عجب أن يجهز عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضى الله عنهما نصف جيش العسرة بمالهما الخاص، ولا عجب أن يتنازل عثمان ابن عفان عن تجارته لله تعالى فى عالم اشتد فيه الأمر على المسلمين، ولا عجب حين يكثر المال بأداء الزكاة فى عهد أمير المؤمنين عمر بن العزيز حتى لايوجد فقير يستحقها، فتصرف فى عتق الأرقاء، إنها مكارم الأخلاق النبوية الشريفة.

ثالثا: من خلال العرض السريع لحال العالم فى عصرنا الحاضر بصفة عامة، وأحوال المسلمين بصفة خاصة، يتحتم على العلماء الأجلاء، ورجال الدعوة الفضلاأ التركيز على تعميق الشعور، وتوطين القلوب، وتغذية الأرواح بمكارم أخلاق الهدى النبوى الشريف، التى حوت إرشادا وتوجيها وهداية لكل جوانب الحياه، حتى يصل المسلم إلى قمة العبودية لله تعالى، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، رائداً للتطور والحضارة والمدنية، وقدوة للناس، وداعيا بمكارم أخلاقه إلى الاسلام قبل أن يدعو بأقواله.

رابعا: وجوب اعتناء المسلم بتهذيب نفسه، وترقيتها، وتطبيعها على حدود الخلق النبوى الشريف، الذى يرتفع عما

يدنسها، ويصرفها عن هواها، فيحملها على فعل الطاعات، وترك المنكرات، وإقالة العثرات، وحب المساكين، فنعمل على إقامة مجتمع إنسانى فاضل ينعم فى ظله كل فرد بحريته، ويأمن فيه على حقه، ويصان فيه عرضه، ودمه، وماله، وذلك كله باتباع حدود الله تعالى وإجتناب نواهيه، والإقتداء بالهدى النبوى الشريف.

خامسا: وجوب التعاون الأخلاقى بين الفرد والأسرة، فهى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع، فالرجل فى أهله داع لهم ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها.

فالوالد عليه أن يربى أولاده على مكارم الأخلاق، أما الأم فهى مدرسة إذا أحسن إعدادها، فقد أقمنا مجتمعا طيب الأعراق، والتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.

سادسا: وجوب التعاون الأخلاقى بين الأغنياء والفقراء، فإن الغنى إذا أعطى الفقير الحق من ماله، وواساه عند الحاجة، نزع منه الحقد والحسد والبغضاء، وهذه أمراض قادرة على الفتك بأواصر المحبة والمودة والوآم، وهذه صفات يجب أن تكون عنوانا للمجتمع المسلم، وعليها أقام النبى صلى الله عليه وسلم المجتمع الأول من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

سابعا: إن من تجاوز مكارم الأخلاق، ولم يسارع بالتوبة والإنابة إلى الله عز وجل، وأصبح سوء الطبع، واقتراف الآثام، والمعاصى، والمنكرات دينه، وسعى فى الأرض فسادا، فلابد أن يقام عليه الجزاء الرادع، فالسارق تقطع يده، والقاتل يقتل، ومتعاطى

المسكرات، والقاذف، والزانى غير المحض يجلدون فإن كان الزانى متزوج قتل.. الخ.

فهذا مما ورد به الهدى النبوى الشريف الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وليس فى هذا النوع من العقاب غلظة ولا وحشية، كما يدعى أعداء الاسلام، فإنها حكم الله تعالى الخالق، العالم بما أودع فى خلقه من عرائز، وأعلم بما يصلح المنحرف منها.

إن مجتمعنا تسوده الفضائل، وتجتنب فيه الرذائل وتقام فيه الحدود لهو مجتمع جدير برضاء الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسل، وجدير بأن يكون فى القمة من الحضارة والمدنية، وله الصدارة والعز والفخر، فمكارم الأخلاق النبوية الشريفة تنهى عن الرزائل وتأمر بالفضائل.

وأخيراً: فالإلتزام بالأخلاق النبوية الشريفة لاتعنى مجرد المعرفة، أو سرد مطالب هذا الخُلُق، أو هدفه وغايته، ومعرفة نتيجة البعد عنه أو مجرد الحديث عنه فيما بين الناس.

انما الخلق هو انفعال النفس وتأثرها بما ينبغى أن يكون فيفعل، وبما لاينبغى أن يكون فيترك.

والخلق بهذا المعنى هو الصمام والمعتصم، الذى يتمسك به من أراد أن يكون مسلما حقاً، فالايمان بالله تعالى دون خلق شجرة لا ظل بها ولا ثمرة، والخلق دون إيمان بالله تعالى ظل لشبح غير مستقر.

ومن هنا كانت عناية الاسلام بمكارم الأخلاق، عناية تفوق

كل عناية، فصلاح الظاهر إن لم يكن أثرا لصلاح الباطن فلا بقاء له، فهو كطبل أجوف، أو بئر معطلة.

وشعبة الأخلاق هى الكفيلة حقا بالإصلاح الباطنى، وهى الشجرة الطيبة التى ثبت أصلها وبسق فروعها، وطاب ثمرها، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها(١)

يقول النبى صلى الله عليه وسلم:

«الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبّهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات، كراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله فى أرضه محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» (٢)

هذا:

وقد حاولت فى كل ماسبق أن أحدد المفهوم النبوى الشريف لمكارم الأخلاق، وكيف أن سلوكنا فى كل ميادين الحياة، يجد فيها طريقه مرسوما، واضحا كالمحجة البيضاء، فهى أخلاق كاملة، تحمى قيمة الشخصية الإسلامية، وتضع للإنسانية نظاما يكفل لها الأمان والاستقرار، والنظام والتقدم.

١- راجع «الاسلام عقيدة وشريعة» للإمام الأكبر محمود شلتوت ص٤٦٢، ٤٦٥ ط الثانية عشرة سنة ١٩٨٣م ط دار الشروق وراجع «روح الدين الاسلامى» للاستاذ محمد طباره ص ٢٠٣، ٢٤٠

٢- أخرجه البخارى /ك العلم /باب فضل من استبرأ لدينه حـ١ ص ١٣٤، ١٣٧ عن النعمان بن بشير «وبشرح ابن حجر»

والله من وراء القصد، وماتوفيقى إلا بالله، وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين.

د/ عبد الله عبد العليم أبو العيون

مدرس الحديث وعلومه

بكلية الدراسات الاسلامية والعربية

للبنات ـ بالاسكندرية ـ جامعة الأزهر